بني إرسال لأن بالذكر خصوا قومه أشراف أي وملائه فرعون إلى والإقدام الجاش وقوة D إسرائيل وهو مما أرسلا عليهما السلام لأجله منوط بآرائهم ويمكن أن يراد بالملأ قومه فقد جاء استعماله بمعنى الجماعة مطلقا فاستكبروا على الإنقياد لما أمروا به ودعوا إليه من الإيمان وإرسال بني إسرائيل وترك تعذيبهم وليست الدعوة مختصة بإرسال بني إسرائيل وإطلاقهم من الأسر ففي سورة النازعات اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى وأيضا فيما نحن فيه ما يدل على عدم الإختصاص .

وكانوا قوما عالين .

46 .

- متكبرين أو متطاولين بالبغي والظلم والمراد كانوا قوما عادتهم العلو .

فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للإستكبار والمراد فقالوا فيما بينهم بطريق المناصحة أنؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا ويطلق على الجمع كما في قوله تعالى فأما ترين من البشر أحدا ولم يثن مثل نظر إلى كونه في حكم المصدر ولو أفرد البشر لصح لأنه اسم جنس يطلق على الواحد وغيره وكذا الوثني المثل فإنه جاء مثنى في قوله تعالى يرونهم مثليهم ومجموعا في قوله سبحانه ثم لا يكونوا أمثالكم نظرا إلى أنه تأويل الوصف إلا أن المرجح لتثنيته الأول وإفراد الثاني الإشارة بالأول إلى قلتها وانفرادهما عن قومهما مع كثرة الملأ واجتماعهم وبالثاني إلى شدة تماثلهم حتى كأنهم مع البشرين شيء واحد وهو أدل على ما عنوه .

وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء عليهم السلام على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤن الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين اللطيف والكثيف فيتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى حضرة الحق وبعضها في أسفل سافلين وهم كأولئك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

ومن العجب أنهم لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضي أكثرهم للإلهية بحجر فقاتلهم ا تعالى ما أجهلهم والهمزة للإنكار أي لا نؤمن لبشرين مثلنا وقومهما يعنون سائر بني إسرائيل لنا عابدون .

47 .

- خادمون منقادون لنا كالعبيد ففي عابدون استعارة تبعية نظرا إلى متعارف اللغة .

ونقل الخفاجي عن الراغب أنه صرح بأن العابد بمعنى الخادم حقيقة وقال أبو عبيدة : العرب تسمي كل من دان للملك عابدا وجوز الزمخشري الحمل على حقيقة العبادة فإن فرعون كان يدعي الإلهية فادعى للناس العبادة على الحقيقة .

واعترض بأن الظاهر أن هذا القول من الملأ وهو يأبى ذلك وكونهم قالوه على لسان فرعون كما يقول خواص ملك : نحن ذوو رعية كثيرة وملك طويل عريض مرادهم إن ملكنا ذو رعية الخ خلاف الظاهر وقيل عليه أيضا على تقدير أن يكون القائل فرعون : لا يلزم من ادعائه الإلهية عبادة بني إسرائيل له أو كونه يعتقد أو يدعي عبادتهم على الحقيقة له وأنت تعلم أنه متى سلم أن القائل فرعون وأنه يدعي الإلهية لا يقدح